على طريق الأصالة

(٣٥)

حرب ضارية على التراث والسيطرة الأجنبية

أنور الجندي

حرب ضارية على التراث

والتاريخ الاسلامى

إن العمل على فصل حاضر الفكر الاسلامى والادب والثقافة اليوم عن ماضيه كله من أخطر محاولات الغزو الفكرى والتقريب لإلحاق الفكر الإسلامى بالتيارات الوافدة من الفكر الغربى . وقد بدأت المحاولة بالنظر إلى الماضى كله بازدراء سواء من ناحية الأسلوب والأداء أم من ناحية المضامين وفرضت على الدراسات الأدبية مناهج الغرب المادية فى محاولة لاخضاعها لنظرية : أن الانسان حيوان خاضع لغريزتى الجنس والمعدة دون تقدير لدوافع الدين والخلق والتضحية والفداء بالنفس فى سبيل المثل العليا .

كما استغلت فكرة العنصر للكتاب وربطها بما يكتبون ، كأن يقال أن سر تفوق ابن الرومى أنه ليس عربيا وتفوق فلان لأنه فارسى أو تركى فى محاولة لانتقاص العطاء الاسلامى نفسه الذى شكل عقليات هؤلاء الأدباء والمفكرين جميعا فى الحقيقة .

وهى محاولة لإنكار أساس لايمكن تجاوزه هو أن الاسلام والاسلام نفسه هو الذى صاغ هذه النفسيات والعقليات بمفهوم التوحيد الخالص وأن الاسلام نفسه ولبس العناصر الخاصة بالدماء والاجناس

هى التى شكلت ثقافة الأوطان التى دخلت تحت راية العقيدة الاسلامية

وهى محاولة مبطلة ترمى إلى رد التفوق عند هؤلاء المفكرين إلى أجناسهم وليس إلى عقيدتهم .

ثم أخذت المحاولة التغريبية تنظر إلى هذا التراث الاسلامى نظرة أخرى أشد خطورة وهى اعتبار العناصر الوافدة من الفكر اليونانى أهم عناصر الفكر الاسلامى بينما هذه العناصر الدخيلة كانت من عوامل الضعف وظلت وقتاً طويلا تفعل آثارها السيئة حتى استطاع مفكرو الاسلام الخلصاء ردها والقضاء عليها. كان تركيزهم على إبراز عناصر الفكر الباطنى والفلسفى والاعتزال والتصوف الفلسفى ، والادعاء بأن توقف الاعتزال أساء إلى مسيرة الفكر الاسلامى ، وهم فى ذلك يعلون من شأن كل منحرف مغرب كابن الراوندى ، والحلاج ، وابن سبعين ، والسهروردى ، والأصفهانى وابن المقفع وغيرهم أما دعاة الأصالة والتماس المنابع والمحافظة على الذاتية الاسلامية فقد وضعوا فى دائرة التجهيل والتعتيم ومؤامرة الصمت .

ثم بدأ القول بأن الدعوة إلى التراث دعوة رجعية ومتخلفة وأن أصحابها يودون إعادة التاريخ القهقرى ، وإذا تحدث المسلمون عن مواقف تاريخية وبطولات قالوا : إنهم يريدون أن يخضعوا الحاضر للأموات .

وهكذا حوصرت (الأصالة) حتى لا تستطيع أن تشق طريقها وتنصب راياتها ولكن هذه المحاولات كلها سقطت واحتاج التغريبيون إلى البحث عن مؤامرات جديدة .

وكان أخطر ما يقال : أن القديم كله تراث على مفهوم الغرب لتراثه الوثني ، ودون التفرقة بين الأصول الأصيلة للإسلام (القرآن والسنة) التي ليست هي تراث ، بل هي عطاء الوحي ورسالة السماء من عند الله تبارك وتعالى ، والتي يجب أن تتميز عن مفهوم التراث الذي هو بمثابة العمل الإنساني والبشري في تفسير الميراث الرباني والنبوي جميعا .

ولما كانت هذه الدعوات تصدر من عقليات مادية الفكر مرتبطة بتاريخ الكنيسة في الغرب فانها حين تضع الفكر الاسلامي موضع المشابهة أو المقارنة تخطيء خطأ كبيراً لعدة عوامل وأسباب منها : أن مفهوم المسلمين للوحي والنبوة والرسالة المنزلة في الاسلام تختلف تماما عن مفهوم الغربي الذي يخلط بين الألوهية والنبوة من ناحية ويرى أن الكتب المقدسة ليست من السماء وإنما هي من أقوال حواري الأنبياء وعن عمل البشر .

ولقد تبين المسلمين من بعد مدى خطورة التراث ، هذه الخطورة التي تدفع القوى التغريبية إلى محاولة عزله أو إسقاطه أو تشويهه أو إفساده عن طريق تزييف أحيائه على النحو الذي قام به بعض من

كتبوا ا عن هامش السيرة والفتنة الكبرى وما جاء به عبد الرحمن الشرقاوي على طريقة طه حسين سواء على منهج الغرب فى تفسير التاريخ أو منهج الماركسيين .

وما يزال التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى بمثابة عدوان شديد الخطر بالنسبة للغزو الفكرى الذى يحاربهما حرب لاهوادة فيها لإيمانه بقدرتهما على العطاء فى بناء الصحوة وصولا إلى النهضة ولفضلهما فى رفع الروح المعنوية وبناء الثقة بمنهج الله فى نفوس الشباب المسلم .

ومن هنا تجرى تلك المحاولات الخطيرة لعرض التراث والتاريخ الاسلامى من وجهة نظر التفسير المادى أو من وجهة نظر إحياء الفكر الوثنى والباطنى القديم وإحياء الفرق القديمة والخلافات التى كانت بين هذه الفرق والصراعات التى ماتت ودفنت منذ زمن طويل والواقع أنه لم تنل قضية ما من التزييف والتشويه قدر ما نالت قضية الربط بين الماضى والحاضر فى الاسلام ، بينما هى قضية واضحة كل الوضوح فى الغرب ، حتى أن الحضارة الحديثة كلها تنتمى إلى حضارة الرومان واليونان ولا تضيق بهذا الانتماء ، بينما إذا ذكر الاسلام كانتماء للثقافة العربية المعاصرة نظر إليه فى شىء غير قليل من الانتقاص والتشكيك ، بل إنه حين يدعى إلى الإسلام لا يجيب ، بينما عندما يدعى إلى ماقبل الإسلام كالفرعونية والبابلية والأشورية وغيرها يجد تقديرا وترحيبا .

ولقد كانت قضية الربط بين القديم والجديد والماضي والحاضر قضية أصولية حتى في مجال العلم التجريبي نفسه ، ولكنها حين تطرح في أفق الفكر الإسلامي تجرى المحاولات لإثارة الشكوك حولها وتجد عبارات السلفية والقديم البالي والجمود هي العبارات الغالبة على الألسن والأقلام في وصف التراث والتاريخ ، دون النظر إلى الفوارق البعيدة بين ماضي الأمم الأوربية الذي لا يقوم إلا على الأساطير والخرافات التي لا يقرها العقل ولا يرضاها الخالق ، بينما لا يوجد في التراث الاسلامي إلا صور السمو والايمان والعفاف والكرامة .

وإذا كنا نفرق بين الميراث الذي هو (القرآن والسنة) وبين التراث الذي هو من عمل العلماء والفقهاء في تفسير أحكام الإسلام وشريعته وعلومه فإننا لانجعل هذا التراث مطية للاستهانة أو الامتهان فقد أورثنا تراث يختلف اختلافا واسعاً وعميقا عن تراث الغرب كله ، الذي لايمكن أن يوزن بشيء منه ، فقد أورثنا تراثا حافلا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون ومنجزات ثقافية وحضارية ومادية لا حد لها ، وإن كان يمكن أن يدخل في هذا التراث بعض ما أثاره المخالفون من مفاهيم زائفة وقضايا مضطربة جاءت نتيجة اختلاط تراث الاسلام بالقول الفلسفي الذي قام بترجمته النساطرة وخب فيه ووضع كثير أمثال ابن سينا والفارابي وابن عربي والحلاج وغيرهم، وكل هذا فكر زائف يجب أن ينجى حين

يذكر التراث الاسلامى الأصيل ، ولكن يجب أن يذكر أيضا إن علماء المسلمين واجهوا هذه السموم وهذا الزيف كله وردوا عليه وكشفوا فساده ودحضوا فريته وكشفوا عن أن أصحابه ليسوا على طريق الاسلام ولكن هم مع المشائين اليونان فى فساد وجهتهم ومن هنا فإنه من الزيف أن يتدخل التغريبيون فى هذا التراث بالانتقاء أو التحوير ليجعلوه مبرراً لواقع حياة المجتمعات الاسلامية اليوم التى انحرفت عن منهج الله أو محاولة الادعاء بأن مرونة الاسلام قابلة لقيم خارجة عن الأصول الاسلامية أو عن الحدود التى وضعها النظام الاسلامى .

إن أبعاد اللعبه التغريبية هى توجيه المسلمين إلى الفكر الاغريقى الذى حررهم الاسلام منه، بينما هم يذكرون ما أخذوه من ابن الهيثم وابن حيان والبيرونى والخوارزمى ، دون الإشارة إلى مصادره كما فعل فرنسيس بيكون وديكارت وغيرهم ممن نقلوا منهج التجريب الاسلامى وانتحلوه لأنفسهم، وهم يحجبون هذا التراث عن المسلمين فى خزائن الغرب ولا يقدمون لنا إلا التراث الزائف عن الفكر الباطنى والحلول ووحدة الوجود الذى يرجون أن يروج ليقضى على أصالة الفكر الاسلامى ووجهته الحقيقية .

(٢)
مواجهة المؤامرات

حول التاريخ الإسلامى والتراث

نحن فى حاجة إلى توجيهات كثيرة من أجل (تأصيل) الصحوة الإسلامية و (ترشيدها) حتى تكون قادرة على الانطلاق إلى الغاية المرجوة وبحيث تتخطى العثرات والمعوقات الكثيرة التى يرصدها النفوذ الأجنبى فى طريقها ، فى محاولة لتعويقها وتقصير خطوها وتوقيفها السنوات بل عقود السنوات مغروسة فى طين هذه المعوقات ووحلها ، وحتى لا تجد نفسها قادرة على التقاط الأنفاس .

ولقد كان من الضرورى والأشد ضرورة بالنسبة للشباب المسلم المتطلع اليوم إلى غد الإسلام أن يجعل مثله الأعلى مرتبطا بالثقافة الإسلامية الغائبة عن مجاله التعليمى وأن يقيم وجهة تربوية ثقافية خارج نطاق المناهج والمقررات يربى بها وجدانه ويعمق بها عقله وألا يقصد همه على الانحسار فى منطقة (شئون الفتاوى الفقهية المتعلقة بالصلاة والطهارة) وأن يضيف إليها فقه السنن الكونية ويفهم بالتعمق فى أودية الثقافة تلك المخاطر والمحاذير المرتبطة بالغزو الفكرى والتغريب ، وما تطرحه مؤسسات التبشير والاستشراق من شبهات وسموم وخاصة فيما يتصل بالتاريخ والتراث فقد حاول

كثير من المستشرقين أن يكتبوا في مجال سيرة الرسول وصحابته وتاريخ الإسلام ، وأن يركزوا على الروايات الضعيفة وعلى مقولات الأعداء. وقد كان من أخطر ما طرح في هذا المجال في السنوات الأخيرة : تلك المحاولة الخطيرة الآثمة في إعلاء تاريخ الحركات الهدامة التي مرت في تاريخ الإسلام وخاصة الزنج والقرامطة والباطنية ، وما يتصل بأفكار إخوان الصفا وابن الراوندي والحلاج وابن سبعين وهم يتوزعون ذلك في مختلف المطروحات المعاصرة من شعر حر ورسائل ماجستير ومسرحيات تتعمد قلب الحقائق وتزييف حقائق التاريخ الإسلامي ومعالمه الإسلامية وذلك ضمن خطة إبراز الحركات الالحادية والمنحرفة في التراث والاعلاء الكاذب من مكانتها وتقديمها - على حد تعبير الأستاذ جمال فؤاد سلطان) في بحثه المستفيض على أنها البديل الإسلامي العقلاني المستنير مهدرين في ذلك أبسط شرائط البحث العلمي وأخلاقية الباحث .

كذلك فهم يعملون على إبراز مختلف المواقف التي يتعارض مع مفهوم أهل السنة والجماعة ومن ذلك محاولة إبراز موقف المعتزلة كموقف ثوري مستنير ضد الظلم والسلطان الجائر ، في حين أن حقيقة موقف المعتزلة كان معارضا بمفهوم الإسلام فهم الذين حملوا لواء فتنة خلق القرآن وجروا اليها الدولة الرسمية والخلفاء .

وهم في ادعاء عريض يصفون المعتزلة بأنهم دعاة الحق والعدل

وبالتالى فإن غيرهم من جماعة المسلمين يوصمون بأنهم متآمرين الباطل طامسين للحقيقة وبذلك يضعون الأمة الإسلامية كلها بعلمائها وفقهائها وساستها فى موقف الانتقاص .

وقد أعانت مذاهب التفسير المادى للتاريخ ومحاولات الصهيونية والماركسية إشاعة هذه المفاهيم .

فإذا أضفنا إلى هذا تلك المحاولات المتصلة فى تزييف التاريخ الإسلامى على النحو الذى نجده فى كتب المقررات المدرسية والجامعية على طول الأمة الإسلامية عجبنا لماذا لا تبدأ هذه الخطوة التصحيحية فى مجال الدراسات والمناهج التى لا تزال مصبوغة بصبغة المرحلة الاستعمارية السابقة لعصور الاستقلال والتحرر ، وهى ما تزال توحى بانتقاص تاريخ الإسلام ، مما يكون له أسوأ الأثر فى نفسيات الشباب المسلم الذى يتطلع إلى أن تستكمل الأمة قدرتها على التحرر من كل نفوذ أجنبى ، والتوجه إلى أصالة الإسلام والتماس منابعه الاصيله .

ولا ريب أن هذا الجيب (التاريخ والتراث) من أخطر الجيوب التى يحتاج إلى تركيز شديد وإلى اهتمام الشباب المسلم المثقف حتى يفوت على القوى الخارجية هدفها ، من حيث تريد خلق روح من فقدان ثقة الشباب المسلم فى تاريخه وبالتالى فى القيم الإسلامية

التى تحرك فى ضوئها تاريخ الإسلام ، صحيح أن هناك فوارق عميقه بين مبادئ الإسلام وبين التطبيق الذى قام به قاده المسلمون ، فأخطأوا وأصابوا ، ولكن مايزال تاريخ الإسلام يمثل جوهراً مشرقاً بضياء التضحية والبذل والإستشهاد الذى قام به المسلمون من أجل نصرة الإسلام .

ولما كانت هذه المعانى عميقة الأثر فى نفوس الشباب المسلم اليوم وهو يتطلع إلى بناء المجتمع الإسلامى الجديد ،فإن المحاولات الخطيرة تبذل بقوة لحجب نور هذا التاريخ ولتفريغه من حقائقه وذلك بعرضه من خلال كتابات حاقدة تتجاهل عظمته وتركز على جوانب سلبية قليلة يمر بها كل تاريخ الأمم ، ولكنه لايقلل عن عظمة الإيجابيات المتصلة خلال أربعة عشر قرناً .

وتشير دراسات كثيرة اليوم إلى خطورة مناهج عرض التاريخ الإسلامى وأثرها على تربية الأجيال وفى مقدمتها ماكتبه الدكتور محمد الأحمد الرشيد الذى يقول : إنه يشاركنى فى هذا الإحساس مئات الألوف من المربين والعلماء والقادة والموجهين لأبناء أمتنا فى أنحاء العالم الإسلامى الذين أؤمن بأنهم يعون وعياً دقيقاً أميناً أثر التربية بالتاريخ فى تكوين وجدان الأمة ومما أحسبه يؤثر تأثيراً مباشراً على قدرة أمتنا على المقاومة إزاء كل ما ينزل بها من خطوب. وأشار إلى هذه الغارة الجماعية الآسيفة على التاريخ الإسلامى إنما تستهدف

استهدافاً مباشراً جذور المقاومة الروحية الأصيلة لأمتنا ومحاولة العدوان الغاشمة والجماعية على تاريخنا ، والتى تلطخ بفرشاة سوداء مرعبة تشطب على كل تلك السنين العامرة بالحضارة والتقدم لتؤكد أنها كانت فتن ومؤامرات ، وتساءل : هل الغربيون يعملون فى تاريخهم كما يريدون أن يعملوا فى تاريخنا ، وتحطيم الروح العامة بإنتماء الأمة وتلطيخ وتزييف وجداننا التاريخى .

وفى النهاية أطلق على هذا العمل عبارة :

(الإنتهاك الجماعى للتاريخ الإسلامى)

ومن يطالع كتابات بعض مؤلفى كتب التاريخ يراهم يسابقون المستشرقين والمبشرين فى الإفتراء والتزييف . وتركز هذه الكتب على قضية (الخلاف الذى وقع بين المسلمين فى عهد عثمان رضى الله عنه وما يتصل بموقعة الجمل والخوارج ومقتل الإمام على وولاية معاوية) هذه القضية الشائكة التى تقدم دائماً من خلال كتب خصوم الإسلام بهدف خلق تصور أساسى هو عدم صلاحية الإسلام للتطبيق فى هذا العصر بدعوى أنه أصيب بهذه الأزمة التى انتهت بالنظام الإسلامى تماماً وهذه هى الدعوى المدماة التى رددها خصوم الإسلام والتى حمل لوائها الدكتور طه حسين فى كتابه (الفتنة الكبرى) .

وهى قضية مثارة فى مختلف كتب المدارس والجامعات فى البلاد

العربية ، وهى قضية يجرى تناولها على نحو غير علمى فإن من يقرأ الأحاديث الصحيحة فى فضائل الصحابة فى كتب الحديث ومن يقرأ المصادر التاريخية العديدة : تاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ والبداية والنهاية قراءة دقيقة واعية ومن يقرأ الرد الشافى على الإتهامات التى وجهت إلى الخليفة فى مصادر مهمة مثل (العواصم من القواصم) للقاضى ابن العربى، ومنهاج السنة لابن تيمية ومن يقرأ هذه المصادر سيجد أن الخليفة عثمان برىء من كل ما اتهم به ، وأن المسلمين اتفقوا على الصالح ولكن اتباع عبد الله بن سبأ (أصحاب الفتنة) أحسوا بأنهم سيكونوا موضع المحاكمة فأثاروا الفتنة بليل حتى لا يصل المسلمون إلى موقع السلامة .

ومن العجب أن نجد اليوم من يردد هذه القضية ، بعد أن طويت وكشفت حقيقتها على نحو وآخر ، مثلما حاول ذلك عبد الرحمن الشرقاوى فى كتاباته المضطربة عن السيرة والتاريخ الإسلامى .

ومن هذه المواقف التى تثار دائماً مسألة أبى ذر الغفارى والإدعاء بأنه زعيم الإشتراكية ، ومسألة هارون الرشيد وما يتصل بموقفه من البرامكة وقضيه العباسية ، وهذه كلها محاولات لطمس حضارة الإسلام ثم يتركز الحملة الضارية على المماليك والدولة العثمانية ، أما المماليك فهم الذين قطعوا دابر الحملات الصليبية وأعادوا بلاد الشام والقدس إلى المسلمين بعد تصفية فلول الصليبيين ، وتلك قضية تحمل

فى نفوس المستشرقين كل أحقاد التاريخ ، أما الدولة العثمانية فهى التى اقتحمت أوربا وسيطرت على مناطق شاسعة منها إلى أسوار فينا أربعة قرون كاملة وحمت بلاد العالم الإسلامى منذ الغزو الأوربى خلال هذه الفترة فلا بد أن تهاجم بهذه القوة ، ولابد أن نجد من كتاب العرب والمسلمين من يهاجم العثمانيين إرضاء للولاء الغربى والإستشراقى .

ولا ريب أن كل الذين يحملون على الدولة العثمانية تحت أى إسم هم ضالعون فى هذه الخطيئة، وهم بعملهم هذا يباعدون إلتئام الوحدة الإسلامية مرة أخرى خدمة لأهداف الإقليميات والقوميات مهما حلوا من دعوات القبول للمناهج الإسلامية وليس صحيحاً أن العلاقة بين الدولة العثمانية والعرب كانت استعماراً فهذا تعبير مستحدث ، ومضمونه لم يكن وارداً ، بل كانت علاقة الإلتقاء بين العرب والترك عملية حضانة إسلامية أصيلة من خطر النفوذ الغربى المتجدد ، ولم يكن ذلك بالنسبة لمصر والشام فحسب بل كان أيضاً بالنسبة للجزائر والمغرب العربى .

تلك أضواء كاشفة على قضية مثارة اليوم فى مختلف أنحاء الوطن العربى ومازلنا نواجه الحملات على عالمية الإسلام ، وعلى دووى غياب الشريعة عن التطبيق بعد عصر الراشدين وما نراه من كتابات اليسار فى بعض البلاد العربية لإعلاء شأن الفرق الضالة التى مزقت الإسلام كالبابكية والمزدكية ومن قبل أعان الدكتور

طه حسين أن القرامطة والزنج دعوتان إلى العدل الإجتماعى وكذبت وقائع التاريخ دعواه .

والمعروف أن مؤتمر بلتيمور الذى عقد منذ عشرات سنوات بقيادة بعض خصوم الإسلام قد دعا إلى إعادة كتاب هذه الفرق الضالة والدعوات الهدامة ، وقد تحمس لذلك بعض الكتاب فى ذلك الوقت ولكن لما كان الحق يعلو فقد كشفت زيوف هذه المحاولات ولم تجد من الشباب المسلم المثقف إلا الرفض والإشاحة عنها ، ذلك أن هذا الشباب قد شكل له خلفية قوية أصبحت قادرة على فهم مخططات هذه المؤامرات التغريبية وأهدافها وغاياتها مهما غيرت من أثوابها وجلدها .

(٣)

محاولة إطفاء

نور تاريخ الإسلام

— لنواجه محاولة إطفاء نور تاريخ الإسلام .

— تاريخ الإسلام لا يمثل عقيدة الإسلام تماماً ولكنه يمثل التجربة الإنسانية.

— مصادر التاريخ التى تدرس الآن مكتوبة بروح إستعمارية تهدف إلى هدم وحدة المسلمين .

كان السؤال المثار هو تلك الحملة المسعورة على الإسلام من خلال تاريخه والادعاء الكاذب بأن الإسلام كنهج حياة لم يطبق إلا فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين وقد جرى تطاول واسع وكبير على العصور والخلفاء وحكام المسلمين ووجهت اتهامات عريضة إلى العصر الأموى والعصر العباسى وتركزت هذه الاتهامات بصفة خاصة على عصر الدولة العثمانية . (وهذه فى الحقيقة إحدى المعارك الموجهة

إلى الصحوة الإسلامية وإحدى الاتهامات التى يراد بها الوقوف فى وجه تطبيق الشريعة الإسلامية وإنكار وجودها) ونحن نؤكد فى هذا المجال مجموعة من الحقائق :

أولا : يجب التفرقة الواضحة والواسعة والعميقة بين منهج الإسلام الربانى المصدر العالمى الوجهة الإنسانى، النزعة وبين التاريخ الذى هو تجربة التطبيق البشرى الذى قام بها المسلمون على مدى العصور وهى تجربة فيها من الإيجابيات والسلبيات بقدر اقترابها من الالتزام بالمنهج الإسلامى أو ابتعادها عنه وهى فى مجموعها تؤكد أن المجتمع الإسلامى خلال الأربعة عشر قرناً كان ملتزماً بمنهج الله وتطبيق الشريعة يدور فى فلكها ولا ينفك عنها وأن الأمة الإسلامية ظلت قائمة على تطبيق الشريعة حتى أوقفتها حملات الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر وآية ذلك ما أورده كتاب (وصف مصر) الذى كتبه علماء الحملة الفرنسية والذى يكشف فى تضاعيفه أن المجتمع الإسلامى كان سائراً وفق شريعة الله : هذا المجتمع الذى يمثل جموع الناس ومختلف طبقاتهم ، وأن الحكام كانوا يتصارعون ويختلفون ولكنهم كانوا يؤكدون ولاءهم لشريعة الإسلام عندما يثار موضوع من المظالم وقد قبل الحكام فى عصر المماليك نصيحة العلماء برفع الظلم والابتعاد عن القسوة فى صحيفة مكتوبة وقعوها مع علماء الأزهر قبل الثورة الفرنسية بسنوات عديدة ومعنى هذا أن وثيقة حقوق الإسلام حررها المسلمون فى مصر قبل أن يحررها الأوربيون

وأنها كانت مستمدة أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية .

ثانياً : أن هذا التاريخ الذى يحيلنا عليه أحمد بهاء وفرج فوده ونور الدين فرحات وغيرهم (والذى هو من مقررات المدارس والجامعات هو صناعة إستشراقية أجنبية وضع أصولها أعداء الإسلام وخصوم العرب والمسلمين ، فى فكر زائد حين فصلوا تاريخ الأقطار عن التاريخ العام ، وحين أعلوا من شأن بضع وقائع قليلة وبعضها مشكوك فيه ليحاولوا إيجاد تصور بأنه كان هناك صراع على السلطة بين الأمراء ، ونحن نعرف المؤامرات والدسائس التى قامت بها بعض العناصر على طول الدولة الإسلامية وعرضها من أجل إثارة روح الخلاف ، وحين نقارن تاريخ الإسلام بتاريخ الأمم الغربية نجد الفارق واضحاً ، فهناك كانت الخلافات تتم من خلال مجازر تنصب ، وحروب تنشب ، ودماء تسيل أياماً وشهوراً لا يتوقف مثل سانت بارتلمى وغيرها مما لم يعرفه تاريخ الإسلام أبداً .

وإذا كان المغربون هم الذين وضعوا هذه المناهج التاريخية لإفساد نفسيات الشباب المسلم وعقلياته نحو دينه ونحو أمته فكيف يجيء اليوم غلمان المستشرقين ليحاكمونا على تاريخ زائف هم الذين كتبوه ولم تثبت منه إلا خلافات صغيرة كبرت ووسعت ألف مرة .

ثالثاً : أن كتب التاريخ الإسلامى القديمة كانت تجمع الروايات المختلفة والمتعارضة (على النحو الذى قام عليه تاريخ الطبرى) ثم تترك

للباحثين التعرف على الروايات الصحيحة عن طريق البحث العلمى ، ولذلك فإن كتب القدامى تحوى الشىء وضده ، ولا تعتبر مرجعاً أساسياً لرسم صورة المجتمع الإسلامى ، كذلك فإن كثيراً من الكتب التى كتبت بقصد التسلية والترفيه مثل الأغانى أو التى لم تصدر عن تحقيق علمى كألف ليلة أو الكتب اللقيطة التى لم يؤلفها مؤرخ معروف كالإمامة والسياسة فهذه كلها وغيرها كتب فاسدة لا يجوز أن يتخذها الباحثون مصدراً للحكم على تاريخ الأمة الإسلامية .

وفى العصر الحديث جاءت مأساة (دائرة المعارف الاسلامية) لتقدم أخطر صور التزييف لتاريخ الاسلام حين ضمت إلى عناصر الاسلام العناصر الفاسدة التى رفضها الاسلام ولا يعترف بها وخاصة ما يتعلق بالفرق الضالة والدعوات الهدامة كالباطنية والقرامطة والزنج وإخوان الصفا فضلا عن كتابات دعاة وحـــدة الوجود والحلول والاشراق والتناسخ وهذه كلها مذاهب ضالة وأدها الاسلام وأحياها خصوم الاسلام وجددوها وعاد علماء المسلمين عليها بالرد المفحم والدحض الكامل ولكن النفوذ الأجنبى الثقافى استطاع أن يقدمها من جديد من خلال : المنجد ودائرة المعارف الإسلامية ، والموسوعة العربية الميسرة ، والموسوعة الإسلامية الميسرة وشمائل المصريين المحدثين وحديث الأربعاء والقضايا الفكرية فى الإسلام لبندلى جوزى .

كل هذه مؤلفات زائفة موجهة لإفساد فهم الشباب المسلم لتاريخه والادعاء بأن هذا التاريخ كان مضطربا .

والحقيقة أن الغرب والاستعمار والنفوذ الأجنبي يعلم مدى خطورة أثر التاريخ في بناء الأمم ، ومدى عظمة التاريخ الإسلامي وإعجازه الذي يعود إلى أنه ينطلق من إيمان قوم باعوا أنفسهم لله وآمنوا بطلب الموت لتوهب لهم الحياة وأجادوا صناعة الموت وجعلوا كلمة الله هي العليا ولم يطمعوا في الغنائم أو متاع الدنيا الفاني ومن هنا كان ذلك النصر الكاسح الذي حققوه في سبعين سنة حين أقاموا دولة لا إله إلا الله محمد رسول الله من حدود الصين إلى نهر اللوار وكان هذا مصدر حقد الغرب عليهم ، وما تركز في أذهان النفوذ الأجنبي من أن عودة المسلمين إلى التعرف على تاريخهم وبطولاتهم من شأنه أن يعيدهم مرة أخرى إلى القوة ويبتعثهم إلى امتلاك إرادتهم ، ومن هنا كانت تلك الحملات التي قادها الإستشراق والتبشير والشعوبيون المنبثون في كل مكان في بلاد المسلمين من أجل تزييف هذه الصفحات المضيئة المشرقة وتفريغ هذا العمل البطولي من أسباب عظمته ومحاكمته إلى مقاييس مضللة هي مقاييس التفسير المادي للتاريخ في محاولة ماكرة تقوم على مقاييس النصر المادية وعلى الدهشة والتشكيك من انتصار جيوش المسلمين على أضعاف أضعافها من جيوش الروم ، والدعوة الكاذبة التي يحملونها عن طريق السيف أو أن خروج المسلمين من الجزيرة العربية كان من أجل القوت أو

استغراق المسلمين فى البحث عن الغنائم وكلها ضلالات باطلة ، يراد بها تزييف الصورة الإسلامية المضيئة فى تاريخه والتى مصدرها فى الحقيقة عقيدته وتعاليمه .

ونحن المسلمون لا يزدهينا التاريخ ولا الماضى ولا نستسلم له ولكن نتخذ منه العبرة سواء أكانت فى مجال النصر أو مجال الهزيمة ولا ريب أن الصحوة الإسلامية التى يمر بها المسلمون اليوم جديرة بأن تكون قادرة على أن تجدد صفحة الإسلام مرة أخرى بالدعوة إلى الإسلام بمفهومه الأصيل ومنابعه الأولى ، واستئناف المسلمين حياتهم مرة أخرى من خلال عقيدتهم ومفهوم السنة والجماعة ، والتماس الأصول الأصيلة لمنهج الله كما نزل على رسوله ﷺ وما طبقه النبى والصحابة فى العصر الأول فلا ضير فى أن يطلبوا المثل الأعلى فى هذه الصور الوضيئة ، ولقد كانت دعوة المصلحين جميعاً فى كل عصر أن يعودوا إلى مفهوم الإسلام الأول قبل ظهور الخلاف فلا ضير فى هذا ولا ريبة ولا يعنى هذا أن تجربة التطبيق كانت تحمل السلبيات والإيجابيات وما على المسلمين أن يعاودوا حساباتهم مع تاريخهم فلا يكرروا الأخطاء ولكن ذلك من شأنه أن يؤكد حقيقة أساسية هو أن المسلمين كلما التمسوا منهج الله وصححوا طريقهم نصرهم الله وأذل أعدائهم ، وأمامهم فى هذا تجربة التتار والصليبيين والفرنجة وهى تجربة تؤكد لهم هذه الحقيقة ، ومن ثم فإن المسلمون اليوم مطالبون بأن يعودوا إلى منهج الله فى بناء مجتمعهم وفى إحياء مفهوم المقاومة

والردع وامتلاك القوة وحماية الثغور واستعادة ما فقده المسلمون من أرض الإسلام ولن يكون هذا إلا بالتماس منهج الإسلام الذى يستطيع أن يحقق لهم امتلاك الإرادة وتصحيح الطريق وإقامة أسباب التقدم على مفهومهم ومن خلال قيمهم ، ولا بد أن يكونوا قد تعلموا طويلا من تجربة التبعية لمناهج الغرب التى ظنوا يوماً ما أنها تستطيع أن تصل بهم إلى الحرية ، فكانت النتائج كما نعلم جميعاً : الهزيمة والنكبة والنكسة .

ولقد تأكد لنا أن وجودنا الحقيقى هو فى الاحتفاظ بذاتيتنا أساساً وحماية شخصيتنا من أن تنصهر فى الحضارة الغربية أو فى الأممية العالمية وهذا هو الطريق وليس هناك طريق سواه .

هـذا وبالله التوفيق .



رقم الإيداع ٤٠١٤ / ١٩٨٩

مطبعة دار البيان بمصر
ت ٩٣٨٦١٩